الخميرة الصغيرة

«خَمِيرَةٌ صَغِيرَةٌ تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ»

(غل ٥: ٩)

تمهيد:

لعلَّ من أكثر التشبيهات اللافتة للنظر، التي استخدمها الربُّ يسوع في أمثاله عن ملكوت السماوات هو تعبير "الخميرة الصغيرة"، وذلك في سياق تشبيهاته لهذا الملكوت من واقع أمورٍ حياتية معروفة وملموسة في الحياة، حتى يسهُل إدراكه وفهمه. فكلُّ فئات الشعب تفهم جيدًا معنى كلمة "الخميرة"، وتعلم كلَّ شيء عن استخدامها في بيوتهم وحياتهم. فتعلم ما هو الفرق بين الخميرة والفطير، ومعنى أن تكون الخميرة جيدة أو فاسدة، كما تدرك جيدًا أهمية هذه الخميرة الصغيرة بالنسبة للعجين كلّه وأثرها عليه. لذلك لم يكن تشبيه ملكوت الله بالخميرة بأمرٍ غريب ولا مسُتصعَب أمام السامعين للربِّ يسوع، لكي يفهموا قصد قوله ومعناه.

أنواع الخمائر:

يشير الكتاب المقدَّس إلى نوعين رئيسيين من الخمائر أراد أن يميِّز بينهما بوضوح، وأن يحدِّد لنا عن أيٍّ منهما يتكلَّم ويُنبِّه ويدعو، وعن أيٍّ منهما يُحذِّر ويشجُب. ويوضِّح لنا القديس بولس الرسول هذا الأمر بقوله: «إِذًا لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ **بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلَا بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ،** بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلَاصِ وَالْحَقِّ» (١كو ٥: ٨)، وأيضًا يقول القديس بولس: «إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ» (١كو ٥: ٧). هذا فضلًا عمَّا ذكره الربُّ يسوع نفسه، عندما حذَّرنا من خمير الفريسيين بقوله: «انْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ ... حِينَئِذٍ فَهِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْخُبْزِ، بَلْ مِنْ تَعْلِيمِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ» (مت ١٦: ٦، ١٣)، وأيضًا قوله: «أَوَّلًا تَحَرَّزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ الَّذِي هُوَ الرِّيَاءُ» (لو ١٢: ١).

فالحديث هنا يشير إلى وجود نوعين من الخميرة؛ أولهما هو: **الخميرة الجيدة،**

والمُشار إليها في مَثَل الملكوت (مت ١٣: ٣٣)، والنوع الثاني هو: **الخميرة العتيقة** التي تشير إلى: (ضمير) الخُبثِ والشرِّ والرياء، المماثلة لرياء ونفاق الفرّيسيين وضمائرهم الغاشة. ودائمًا ما يدعونا الكتاب المقدَّس إلى النأي عن التَمثُّل بالخميرة العتيقة، التي هي الرياء والنفاق وضمير الخُبث والشرِّ، والتشبُّه بالخميرة الجيدة التي تُخمِّر العجين كله بالإخلاص والطهارة والحقِّ والنقاء.

المعاني الروحية لمَثَل الخميرة الصغيرة:

أولًا: الخميرة الصغيرة مثال لملكوت السموات:

١- **من حيث قوة انتشار عمل للروح القدس:** يقول الربُّ يسوع : «يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبَّأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر العجين» **(**مت ١٣: ٣٣؛ لو ١٣: ٢١**).** فالمرأة خبَّأت الخميرة الصغيرة داخل أكيال الدقيق وغطَّتها، تاركة لحركة الخميرة وحيوِّيتها وروح الحياة التي فيها لتعمل في كلِّ الدقيق حتى يختمر الجميع، فالإشارة هنا واضحة لعمل الروح القدس الجبَّار والخفي، والقادر على التأثير والانتشار والعمل في الخفاء، ولو بأركان تبدو لنا ضعيفة، حتى يُخرِج الحقَّ إلى النور، وينتشر نور الكرازة والشهادة للعالم أجمع. وليس أدلُّ على ذلك من كرازة الرسل الأطهار- الصيَّادين البسطاء والضعفاء- الذين قيل عنهم إنَّهم فتنوا المسكونة، وذلك من قِبَل الروح القدس الوديع الساكن فيهم، فهؤلاء يقول عنهم الكتاب المقدس: «في كلِّ الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» **(**مز١٩:٤).

هكذا هو عمل الروح قويٌّ وجبارٌ، رغم كونه مخفيًّا ومستورًا بلا ضجة أو إبهار، مثل الخميرة الصغيرة التي تعمل في صمت عملها العظيم وتُتمِّمه بهدوءٍ ومجدٍ عظيمين. ولا ننسى أيضًا، التشابه المُلفِت لنا من حيث قوة الانتشار والاتساع والفاعلية الملازمة لعمل الروح القدس الخفي في الداخل؛ ومقارنة ما ذُكر عن الثلاثة أكيال الدقيق - الواردة في مَثَلِ الخميرة الصغيرة الذي قاله الربُّ يسوع - مع مثيلتها التي خبزتها أمُّنا سارة، امرأة أبينا إبراهيم لضيوفه الملائكة، فأخذت الوعد بأن يولد منها أكثر من نجوم السماء، حيث كانت كثرة نسل إبراهيم إشارة لاكتمال وانتشار الكرازة في العالم كلِّه، بتلك الخميرة الجيِّدة الحاملة لقوَّة الملكوت والقيامة.

٢ - **من حيث قوة روح الله وفاعليته داخلنا:** يقول الربُّ يسوع لكلِّ من يبحث عن ملكوت الله: «هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١)، فالملكوت إذن يتمثَّل في وجود الله نفسه داخلنا، من قِبَل روحه القدوس، كمثال الخميرة الكامنة فينا لتهبنا كل طاقة الحياة الأبدية التي إليها دُعينا. فرغم بساطة وضعف الخميرة الصغيرة، وقلة حجمها وصعوبة تصوُّرِ تأثيرها على أكيال الدقيق التي تُغطِّيها، نجدها قد خمَّرت العجين كله. هكذا ورغم ضعف الآباء الرسل وبساطة ثقافاتهم وقُدراتهم، إلَّا إنَّ الروح القدس الكائن والمخبَّأ داخلهم قد انطلق فيهم كانفجار النور في غياهب الظلمة ليُحطِّمها، ويضيء على العالم بنور معرفة المسيح، شاهدًا لعمل نعمته الفائض والمتزايد والخفي في حياتهم، بمعزل عن كلِّ ضعفاتهم؛كما يقول معلِّمنا بولس الرسول: «فقال لي: تكفيك نعمتي، لأنَّ قوَّتي في الضَعف تُكمَل» (٢كو ١٢: ٩). فهذا كلُّه شهادة على مدى قوة وفاعلية عمل الروح القدس - خميرة الملكوت المخبَّأة داخلنا - التي تَضطَلِع بكل العمل من جهة النموِّ والشهادة والكرازة، من أجل انتشار ملكوت الله الكائن في داخلنا، إلى أقاصي المسكونة لمجد الله: «أمّا المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهم يعلِّمكم كلَّ شيء، ويُذكِّركم بكلِّ ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦).

ثانيًا: الخميرة الصغيرة مثال لذبيحة المسيح وموته وقيامته:

إنَّ المسيح هو حبة الحنطة التي ماتت لأجلنا، ودُفنت وجازت الموت، ثمَّ قامت وأشرقت على العالم كلِّه بقوة روح الحياة (الروح القدس)، لتُعطي له عربون الحياة الأبدية. كذلك الخميرة، التي هي طحين الحنطة المخبوز، والذي يرمز للباكورة المقدسة التي هي مثال المسيح نفسه! فإن كانت الباكورة مقدَّسة، فالعجين كلُّه - أي كلُّ شعب الله - سيصير مقدَّسًا؛ كما يقول معلِّمنا بولس الرسول: «وإن كانت الباكورة مقدَّسة، فكذلك العجين!» (رو١١:١٦)، لأنَّنا ، كباكورة الروح، قد تمثَّلنا بالمسيح واتحدْنا به؛ بالتناول من جسده ودمه المقدَّسين، أي من الخبز الواحد المقدَّس؛ المطحون والمخبوز بنارٍ، والمدفون والقائم من أجلنا. وبهذا صرنا باكورة مقدَّسة للشهادة والتأثير والكرازة باسمه في جميع الأمم. كما صرنا أهلًا - بسبب اتحادنا به في شركة آلامه - أن نشترك معه أيضًا في مجده كذلك.